جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
القاهرة

٨٢٩
٢٠١٢٥

# القصيدة الوجدانية في المغرب

رسالة مقدمة من الطالب

العربي الحمداوي

للحصول على درجة الدكتوراه

إشراف

الأستاذ الدكتور / صلاح فضل
أستاذ النقد الأدبي الحديث والأدب المقارن بقسم اللغة العربية

رسالة

١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

## مفاتيـــــــــح

ب = بيـــــــت

س = سطـــــــر

ش = شطـــــــر

ق = قصيـــــدة

## مقدمـــــــة

ان من يتمعن فى التاريخ الثقافي للمغرب سيجد ان جنـــــس الشعر كان يحتل دائما الدرجة الثانية بعد " علوم" الدين ، وهكـــذا كان للمغاربة اهتمام بالتفسير والحديث والفقه والاصول ، اذ كانـــت الحواشي والتعاليق والاراجيز هي اهم مايشغل الذاكرة المغربيـــــة لانها كانت تبوىء المهتم بها المكانة الاجتماعية الرفيعة بين فئـــات الامة ، فكان العالم الفقيه لايقول الشعر الا من اجل تأكيـــــــد موسوعيته وبيان سعة أفق معارفه ، وقلما نجد شاعرا يعرف اهتمامـــه كله الى القول الشعـرى .

وفى هذا القرن عرف المغرب اتجاهات شعرية لم يعرف مثيلهـــا اى قرن سابق على امتداد تاريخه العربي ـ الاسلامي . حيث ظهرت بـوادر الخروج عن التقليد . فظهر الاتجاه الوطني التحرري فى الشعر كأهـــم ملمح تجديدي الى جانب الاتجاه التقليدي ثم ظهر الاتجاه الوجدانـــي ، وعلى الرغم من ان هذا الاتجاه الاخير لم يكن نسخة طبق الاصل للاتجـــاه الرومانسي الاوربي نظرا لاختلاف الشروط التاريخية والحضارية لكـــــل منهما ، الا انه كان يشكل ـ مع ذلك ـ امتدادا للاتجاه الوجدانـــــي العربي الذى كان متأثرا بالاتجاه الرومانسي الاوربي . وهكذا كـــــان للقصيدة الوجدانية حضور لابأس به فى خريطة الثقافة المغربية فـــــى الحقبة الممتدة بين سنتي ١٩٣٠ و ١٩٦٠ . فبدا لنا ان جسد هـــــذه القصيدة يمكن ان يشكل فضاء للدراسة ومجالا للبحث عن الشعريـــــة . فاستقر الرأي مع استاذنا المشرف الدكتور صلاح فضل على ان تكـــــون

القصيدة الوجدانية مادة لهذه الرسالة التى اتخذت موضوعا لهـــا : " القصيدة الوجدانية فى المغرب".

ولما وجدنا ان هناك من سبقنا الى الاهتمام بالتاريخ للشعر فى هـذه الحقبة (١)، فقد استقر الرأي على ان يركز الاهتمام على دراســة القصيدة الوجدانية فى جوانبها الشعرية ، وتحديد مناطق الفاعليــة فيها فى جسدها الكلي متخذين فى ذلك منهجاً فى التحليل منهــج الشعرية الذى غدت ادبيات النقد العربي الحديث تدعو اليه فــى السنوات الاخيرة .

وقد كان الاستاذ الدكتور عبد القادر القط - على امتــداد الوطن العربي - الأسبق الى استعمال مصطلح" الوجداني " بــدل "الرومانسي " فى دراسته العميقة المعروفة ب " الاتجاه الوجدانــي فى الشعر العربي المعاصر " حين استخلص ان الرومانسية كمذهب فلسفــي كرؤية الى الكون فى الادب قد نشأت في حضارة تختلف شروطها التاريخية والاجتماعية والحضارية عن شروط الحضارة العربية التى انبثق منهــا الاتجاه الوجداني العربي ، فاستعرنا مصطلحي " الوجدانية "و" الوجداني" بهذا الفهم للتدليل على " الرومانسية "و" الرومانسي " . علــى ان الوجداني قد يدل فى بعض السياقات ايضا على : الباطني ، الشعــوري ، الانفعالي .

وكان لابد من تحديد الاطار الزماني لهذا البحث حتى توءخــذ

---

١) يتعلق الامر بالدكتور ابراهيم السولامي الذى اهتم بموضوع الشعــر الوطني المغربي فى عهد الحماية حيث هيأ رسالة دكتوراه السلــك الثالث تحت هذا الموضوع وهى منشورة من قبل دار الثقافة ، الــدار البيضاء ، بدون تاريخ . وكذلك الاستاذ احمد الدويري الذى هيــأ رسالة دكتوراه السلك الثالث فى موضوع الاتجاه الوجداني فى الشعــر المغربي الحديث (١٩٣٠ - ١٩٦٥) والرسالة مرقونة ومحفوظة فى مكتبــة كلية الاداب بفاس تحت رقم ٢٥٩ وقد نوقشت فى السنة الجامعيــة ١٩٨٥ - ١٩٨٦ .

منه النصوص المعتمدة فى التحليل وحتى يتحقق الانسجام فيما بينهما على مستوى البعد الزمنى لتحديد الخصائص الدلالية والشعرية التى يمكن ان تشترك فيها جميعا . فكانت الحقبة الممتدة بين سنتى ١٩٣٠ و ١٩٦٠ هى الفضاء الزمانى الذى بدا لنا ان فيه قد تماسك وقوى الاتجاه الوجدانى وبذلك تحددت مميزات القصيدة .

بعد هذا كان لابد من تحديد هيكل الرسالة وهكذا قسمناها الى تمهيد عام وثلاثة ابواب . اما التمهيد فيتناول الظروف السياسية والفكرية والادبية التى نشأت فيها القصيدة الوجدانية بالعرض والتحليل محددين من خلاله الاطار العام لهذه القصيدة .

واما الباب الاول فيشتمل على تمهيد نظرى واربعة فصول ، وقد عنون ب " الأنا والكون وتفاعل اللغة فى القصيدة الوجدانية "، وجعل الفصل الاول منه تحت عنوان " الأنا والطبيعة " وعملنا فيه على تحليل الظواهر اللغوية التى تعمل على ربط الذات بالكون أو موقف الذات من الطبيعة باعتبارها ظواهر كونية يتمظهر من خلالها موقف الانسان من الحياة . والفصل الثانى قد جاء تحت عنوان " الأنا والحب " ، موضحين فيه من خلال التحليل المدلول الذى يعطيه الشاعر " الرومانسى " المغربى للحب ، وكيف ينظر فيه الى الحبيب ، وقد اعطينا اهمية كبرى لهذا الفصل بالنظر الى عدد القصائد المحللة فيه لما له من حضور كثيف فى ذاكرة الشاعر الوجدانى . واما الفصل الثالث وهو تحت عنوان " الانا والوطن " فقد بينا فيه من خلال بحثنا فى الدلالة التى تقود خطى هذا النوع من القصائد الوطنية - الحماسية - وهى دلالة سياسية راصدين من خلال التحليل اللغوى كيف

يغدو الوطن موضوعا للحب الفردى والجماعى فى نفس الآن بتجنـــــد الفرد والامة للدفاع عنه امام المستعمر الغاصب . اما الفصـــل الرابع والاخير فقد عنون بـ " الانا والموت " وحللنا فيه كيفيـــة تحرك ظاهرة الموت فى فضاء القصيدة الوجدانية ، حيث الطبيعـــة والحب هما اللذان يتمظهر من خلالهما التوحد الذى يفصمه الموت .

ثم الباب الثانى وهو تحت عنوان : الصورة الشعرية فـــى القصيدة الوجدانية ويتكون من ثلاثة فصول ، وهكذا فاقتناعنـــا بدراسة الصورة الشعرية ـ باعتبارها احد الميكانيزمات الاساسيـــة فى خلق الشعرية وتحقيق المستوى الجمالى فى القصيدة ـ جعلنـــا نخصص الفصل الاول من هذا الباب لمفهوم الصورة من الناحية النظريـــة عند العرب والغربيين ، ثم بعد ذلك رسمنا حدود الحرفيـــة والايحائية فى كل من صورتى التشبيه والاستعارة . واوضحنا فيـــه ان اهمية الصورة الشعرية تكمن فى كونها فضاء لخلق الجملـــة الشعرية . وان الرؤية الشعرية تتبدى من خلالها فى نهاية الامـــر، وان "خرق " اللغة هو الذى يخلق الشعرية . ولم نعر اهميـــة ولا انتباها لانواع المجاز الاخرى كالمجاز المرسل والعقلى وذلـــك لغيابهما من فضاء القصيدة الا لماما . وكان لابد من التطبيق حتـــى يكتسب التنظير مشروعيته فى هذا الباب لذلك خصصنا الفصل الثانـــى لصور التشبيه محللين الانواع الفنية لصوره وقد ختمناه بجـــدول احصائى درسنا من خلاله الملامح الاسلوبية لصور التشبيه معتمدين فـــى ذلك على معدلات تكرار كل اداة من ادواته ، وبذلك خرجنا بنتيجـــة احصائية قائمة على احدى واربعين قصيدة ، مفادها ان الكاف يعـــد

الاداة المهيمنة فى صور التشبيه وتأتى بعده كأن " ، وبعد ذلك يأتى الفصل الثالث وقد خصصناه لدراسة صور الاستعارة دراسة تطبيقية مصنفينها الى الانواع النحوية وختمنا الفصل كذلك بدراسة احصائية حتى نتمكن من الخروج بنتيجة علمية عن معدل النوع المهيمن فى صور الاستعارة .

ثم يأتى الباب الاخير وهو تحت عنوان " البنية العروضية ودلالة القافية " ، وقد وصفنا فيه نماذج من البنية العروضية للقصيدة الوجدانية فى المغرب وتطور هذه البنية من القصيدة التقليدية ذات القافية الواحدة الى ان وصلت الى بنية القصيدة الحرة فى مطلع الستينيات ، وكان هدفنا البحث عن مدى مساهمة القافية فى الدلالة العامة للقصيدة لذلك كان تحليلنا افقيا على مستوى البنية العروضية ، وعموديا على مستوى القافية ، هدفنا من كل ذلك - تبعا لاستراتيجيتنا فى هذه الرسالة - رصد مكامن الشعرية فى مختلف الظواهر اللغوية والاسلوبية والموسيقية والتصويرية . ويتكون هذا الباب الثالث من ثلاثة فصول الفصل الاول وقد عنوناه ب " معمارية القصيدة الوجدانية : من الوحدة الى التنوع فى القافية " . وقد كان همنا فيه ينصب على التطبيق لا على التطور التاريخى ، كما قد يتبادر الى الذهن ، حيث حللنا فيه قصائد كاملة تتنوع موسيقيا وعروضيا من قافية الى اخرى .

ثم يأتى الفصل الثانى وقد خصصناه لدراسة قصائد من الموشحات بعدما مهدنا لها بتمهيد قصير لضبط اصولها ومصطلحاتها ومعماريتها

التى تختلف عن القصيدة الموحدة القافية ، وقد تتبعنا فيه نفس المنهج فى التحليل الذى قاد خطانا فى الفصل الذى سبقه .

اما الفصل الثالث والاخير فهو تحت عنوان : " القصيدة الحرة وبداية التحويل الايقاعى " ، ومهدنا له كذلك بتمهيد يوضح حدود تطور القصيدة الوجدانية بتكسيرها لمجموعة من القيم الجمالية التى كانت اهم ميزات القصيدة التقليدية والموشحة .

وأخيرا ، اذا كان لابد لكل مسافر من نجم يهديه بحرا أو منار ينير له السبيل ، ويحدد له الاتجاه بحرا فان نجمي فى هذه السفرة العلمية ومنارى فى أنواء البحر وأمواجه هو استاذي الفاضل الاستاذ الدكتور / صلاح فضل ، الذى يوجه ويرشد فى صرامة العالم المقتدر المتمكن ورأفة واخلاق الاب الحنون دون فرض ولا اكراه . فإليه اوجه عبارات اعترافي وشكري وتقديري ومحبتي سائلا الله وحده ان يجزيه على ما أفاد ووجه ،وبارك الله فيه وفى مسيرته العلمية ، وهو يزرع ويغرس الخير ويتعهد البراعم العلمية فى هذه الارض الشاسعة على امتداد الوطن العربى من المحيط الى الخليج ناشرا الوية العلم واشعاع المعرفة .

وبالله التوفيق ،،،

## تمهيـــــــد

### الظروف العامة التى نشأت فيها القصيدة الوجدانية بالمغرب

١ - الظروف السياســـــة :

ان فترة الثلاثين سنة التى اتخذناها اطارا زمانيا لبحثنـــــا تعتبر فى تاريخ المغرب الحديث حقبة غنية بالتحولات والدلالات التـــى كانت اساسا فى حصول المغرب على استقلاله وفى الشروع فى التحديـــث والتطور الشاملين فى البنيات التى تحدد مسار مغرب ما بعـــــد الاستقـلال .

فبعد وهن الدولة المغربية وضعف موءسساتها وبعد انكمـــاش الذات المغربية اثر فترة نهوض واخصاب ويقظة [1] وقعت الحمايـــة الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢ بعد احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ فكـــان على المغاربة الذين لم يعرفوا قط استعمارا بهذا الشكل منذ مجـــىء الاسلام الى هذه الربوع ان يقاوموا هذا المحتل الذى سيغصـــب الارض وسيهدد كيان الامة فى وحدته وسيعمل على تمزيق الذات المغربية فـــى عروبتها وتماسكها المعروفين عنها منذ اربعة عشر قرنا على امتـــداد المسافة التاريخية لكل دولة من الدول المتعاقبة على الحكم .

وكان مضمون الحماية يقتضى تحديث الدولة المغربية فى التعليم والجيش والاقتصاد والسياسة ، وتنص كذلك من جملة ماتنص عليه بنـــود

---

1) يتعلق الامر بفترة حكم الحسن الاول ( ١٨٧٣ - ١٨٩٤) حيث تم تنظيم الجيش المغربى على احدث الطرق ، وتوجيه البعثات للتمرن فـــى مختلف الاقطار الاوربية مع استعمال الفنيين الاجانب ، وارســـال بعثات للدراسة فى مختلف فروع المعرفة ، بفرنسا وايطاليا والمانيا انظر : علال الفاسى ، الحركات الاستقلالية فى المغرب العربـــى ، طبعة تطوان ، ص ٨٦ - ٨٧ .

هذه الحماية ان ملك المغرب هو صاحب السيادة ، ولما وجد المغاربة ان واقع الحال ليس كذلك تماما حيث اصبح " المقيم العام" وهو ممثل الحكومة الفرنسية فى المغرب يمارس السلطة كما يشاء رغم انه لا يملك حتى استصدار قوانين تشريعية ثاروا فى الجبال كما فى السهول وقاوموا مقاومة باسلة ولكنها مقاومة لم تكن متكافئة وكانت ثورة الريف ( ١٩٢١ - ١٩٢٦) بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابى معلمة فى تاريخ المغرب الحديث حيث استطاع هذا القائد ان يهدد الاستعمار الاسبانى فى شمال المغرب الذى كان يخضع للحماية الاسبانية فى تكسير جيوشه رغم الآلة العسكرية الفتاكة التى يحارب بها الى جانب البنادق التقليدية التى كانت تستعملها وحدات جيش التحرير المغربى ، الا ان المقاومة المغربية والانتصارات التى حققتها ثورة الريف جعلت الاسبانيين يستنجدون بالفرنسيين لان اشعاع ثورة الريف سيمتد حتما الى المنطقة الخاضعة للحماية الفرنسية فيهدد فرنسا ، فكان التحالف الاستعمارى اساس انكسار الثورة الريفية واستسلام بطلها ابن عبد الكريم الخطابى فى ٢٥ مايو ١٩٢٦ .

فأحس المغاربة بالانقباض واليأس وتابع الفرنسيون احتلالهم العسكرى للجبال المغربية فى الجنوب واكتشفوا ان بعض القبائل البربرية تفضل تطبيق العرف فى بعض المسائل بدلا من تطبيق الشرع الاسلامى لاعتبارات اقتصادية واجتماعية ،واكتشفوا كذلك ان هنالك ما يمكن تسميته بمغرب " المخزن " الخاضع للادارة المركزية ومغرب "السيبة " الذى لايخضع الا للقبيلة اعتبروا ان فى المغرب من لايخضع لسلطة " امير المؤمنين " وهنالك من لايخضع للشريعة الاسلامية ، وهكذا فان مصلحة فرنسا تقتضى العمل على تكريس هذه التفرقة اولا بين

العرب الذين يدينون بالاسلام والذين يعتبرون دخلاء فى نظرها وبين البربر الذين لايطبقون الشريعة الاسلامية أملا فى تمسيحهم وبالتالى ادماجهم فى الامة الفرنسية وبذلك يسهل ارتباط المغرب بفرنسا الى الابد كما كان قبل تعريبه خاضعا للوندال وللرومان . وللوصول الى هذه الغاية اذن، استصدرت السلطات الفرنسية ماعرف بالظهير (٢) البربرى فى ١٦ مايو ١٩٣٠ وبذلك تجلت بوضوح " السياسة البربرية " لفرنسا فى المغرب ويتلخص هذا الظهير فى فكرة واحدة هى تطبيق العرف المحلى بدل الشريعة الاسلامية فى " القبائل ذات العوائد البربرية " .

وبذلك تقسم فرنسا المغرب الى قسمين : قسم يخضع للتشريع الاسلامى وقانون الفقه المالكى المعمول به فى المدن والقبائل التى تتكلم العربية والقسم الثانى هو الذى سيطبق فيه القانون المستحدث من بعض الاعراف المحلية المطعمة بالقانون الفرنسى .

فالظهير البربرى اذن كان بداية تمزيق وتشتيت لـ " ان ابعاده السياسية والدينية والثقافية والحضارية كانت واضحة الخطورة على المغرب على كيانه القانونى داخل عقد الحماية نفسه وكيانه كشعب واحد وكدولة واحدة ، شعب تتحدد هويته الثقافية والحضارية بانتمائه الى الوطن بابعاده الجغرافية والتاريخية والبشرية والدينية "(٣).

---

٢) الظهير هو النص القانونى الذى يصدره الملك ويحمل توقيعه وقد استعمل هذا المصطلح منذ العهد المرينى ، وتأتى المراسيم الوزارية لتفصيله وتبيان كيفية تطبيقه .

٣) محمد عابد الجابرى ، يقظة الوعي العروبي فى المغرب ، مجلة " المستقبل العربى " الشهر الخامس ، عدد ٨٧، سنة ١٩٨٦، ص ٩ .

هكذا وجد المغاربة اذن انهم مهددون فى هويتهم وفى انتمائهم الى العروبة فكان ولابد للمقاومة السياسية ان تأخذ زمام المبادرة بعد انكسار المقاومة المسلحة فى الجبال واخضاع كل المناطق المغربية تحت سلطتى الحماية الفرنسية والحماية الاسبانية فبدأت الطلائع الاولى تتشكل لمقاومة هذه الوضعية الاستعمارية وكان هذا مدعاة لتشكيل الخلايا والجمعيات الثقافية والنقابات .

وسافرت الوفود الى الشرق العربى والى فرنسا لشرح ابعاد وخطورة الظهير البربرى فضلا عن انه " كانت توجد بالقاهرة وبنابلس فى فلسطين جماعة من الطلبة المغاربة من منطقة الحماية الاسبانية ومن منطقة الحماية الفرنسية وكانت فى باريس جماعة اخرى من الطلبة، وقد بدأت هذه الجماعة وتلك مجال الاتصال بالرأى العام العربى والاسلامى والاوربى عن طريق الجمعيات والشخصيات فاتصل بعض الطلبة بالشيخ رشيد رضا وكان يصدر مجلة " المنار" ومحب الدين الخطيب وكان يصدر مجلة " الفتح " ثم بالصحف الوطنية وخاصة صحيفة "الجهاد " الوفدية التى كان يصدرها توفيق دياب . فتحت هذه الصحف صدرها للوطنيين لينشروا فيها مقالات ضد الاستعمار الفرنسى فى المغرب وبالاخص التشهير بالسياسة البربرية وباستعمار الفرنسيين لاراضى الفلاحين" (٤).

وأسست الحركة الوطنية المغربية فى فرنسا مجلة " مغرب " فكان يديرها بعض المغاربة كأحمد بالافريج الى جانب بعض الفرنسيين الاحرار وذلك سنة ١٩٣٢ لشرح الموقف فى المغرب ولادانة السياسة الاستعمارية فى انتزاع الاراضى الصالحة للزراعة من المواطنين والقبائل

---

٤) عبد الكريم غلاب ، تاريخ الحركة الوطنية المغربية ، الجزء الاول ، الشركة المغربية للطبع والنشر ، الدار البيضاء ١٨٧٦، ص ٨٦ .

قصد تفقير اهل البلد ليكون ذلك مدعاة لخضوعهم .

هكذا بدأ العمل الوطنى فيما كان يعرف " بكتلة العمل الوطنى " التى اخذت تقود المظاهرات فى جل المدن المغربية للتعبير عن رفض سياسة : " فرق تسد " التى انتهجتها فرنسا من خلال الظهير البربرى الذى كان من نتائجه الايجابية احياء الشعور الوطنى والقومى والدينى لدى البربر الذين كانوا اول من قاوم تفتيت وحدة المغاربة ، ولا غرو فى ذلك طالما ان العنصر البربرى امتزج بالعنصر العربى خلال قرون طويلة وكان من حماة الثقافة العربية وتركيز دعائمها وضمان استمراريتها فى اطار اسلامى مرتكز على وحدة وطنية انصهرت داخلها كل الاجناس المتساكنة منذ مجىء العنصر العربى الى المغرب وهكذا " فان مخططى السياسة الفرنسية الاستعمارية فى شمال افريقيا كانوا اقل ادراكا لدور الدين ( الاسلام العروبة ) فى حياة المغرب وتجربته التاريخية ، لقد كانوا يرون فى تساهل سكان الجبال فى اداء شعائرهم الدينية وعدم تطبيقهم لبعض جوانب من الشريعة الاسلامية وفى جهلهم للغة العربية وفى تمردهم على السلطة المركزية ، كانوا يرون فى ذلك دليلا على ان البربر يرفضون ( الحكم العربى)- باعتبار ان السلطان من سلالة عربية - وانهم لايعرفون من الاسلام سوى بعض القشور والمظاهر وان الروح والعادات الوثنية متمكنة فيهم مما تجعل من الممكن جدا فصلهم عن الفضاء الثقافى الحضارى العربى الاسلامى والحاقهم بفرنسا والحضارة اللاتينية "(٥).

---

٥) محمد عابد الجابرى ، يقظة الوعي العروبي فى المغرب ، مجلة " المستقبل العربى"، الشهر الخامس ، عدد ٨٧، سنة ١٩٨٦، ص ١٠ .